النسوية المعاصرة كسياسة هوية

إعداد: مي مصطفى مبارك

المقال الحائز على المركز الثاني في دورة أسس ومصادر وتوجهات النسوية

تاريخ النشر: 13 / 05 / 2022م

• **مقدمة:**

العيش في المجتمع الحديث يعني العيش في حركية واضطراب مستمر، كما يعني الانفتاح على تعدد الخيارات والاتصال بتجارب مختلفة، تسببت ديناميكيات التحديث السريع والهجرة الى المدن في تعقيد التركيبة الاجتماعية، حيث أن المدينة هي محل ميلاد السياسي عن طريق خلقها لشروط تحرر الناس من قيود و روابط الجماعات، هذا ما يخلق بحثاً دائمًا عن هوية ما.

نرى اليوم أن مطلب الاعتراف بالهوية هو ما يفسر مجموعة واسعة من النشاط السياسي المعاصر، الذي يتأسس على تجارب الظلم المشتركة لأعضاء جماعات معينة تؤمن بأن لها هوية لا تحظى بالاعتراف الملائم، تتأسس هذه الهوية على امتداد طيف سياسي من اليمين الى اليسار على أساس الأمة أو الدين أو الطائفة أو العرق أو الاثنية أو الجندر/ الجنوسة.

نقطة الانطلاق لفهم الخطاب النسوي السائد هي الرجوع لمجموع الحركات الاجتماعية في نهاية الستينيات في الولايات المتحدة الامريكية القوة العالمية الجديدة والمزدهرة اقتصادياً في فترة ما بعد الحرب العالمية، حركة الحقوق المدنية وحركات مناهضة الاستعمار وصعود الموجة الثانية للحركات النسائية وحركة حقوق

المثليين بدأً بانتفاضة ستونوول ١٩٦٩، جميعها أثرت و تأثرت بجدالات جديدة في الاكاديميا الانغلو-أمريكية و عاصرت في السنوات الاحقة إنتاج نظريات أدبية و فلسفية (الألسنية، التأويلية، الظاهراتية، البنيوية، ما بعد البنيوية ...) أجبرت الجامعات المتروبولية على مواجهة قضايا العرق و الجندر.

• **النسوية كسياسة هوية:**

بدأ استخدام عبارة (سياسات الهوية) في أواخر السبعينات حين بدأ الاكاديميون في تحديد الأسس الفلسفية لها، حيث تتطالب جماعات بالاعتراف المتساوي وفق أسس تم رفض الاعتراف بها سابقاً، و ليس فقط على أساس الإنسانية المشتركة و انما على أساس احترام (الذات) كونها مختلفة، تتضمن بعض المطالب استئناف مرحلة ما قبل القمع، استعادة الثقافات التي تضررت من الاستعمار أو الامبريالية أو العبودية أو التمييز الجندري اعتماداً على اختلاف التجارب المعاشة.

حدث تطور مشابه داخل الحركة النسوية، في بداية الموجة الثانية تركزت مطالب التيار السائد للحركة على المعاملة المتساوية للنساء في الوظائف و التعليم وفي المحاكم تماماً كما في بدايات حركة الحقوق المدنية، و لكن أيضاً كان هناك تيار مهم في الفكر النسوي يميز بين (التجربة) و (التجربة المعاشة)، يحاجج بأن وعي النساء و تجارب حياتهن تختلف جوهرياً عن الرجال، و لابد ان لا تحصر الحركة أهدافها فقط في تحقيق المساواة في الحقوق الاقتصادية و القانونية، تجد هذه الفكرة جذرها في كتاب سيمون دو بوفوار (الجنس الثاني ١٩٤٩) حيث ترى ان الطبيعة الابوية للمجتمع المحيط شكلت حتى أجساد النساء، و ان تجربتهن المعاشة لا تتماهى مع مثيلتها لدى الرجال، يفسر فرانسيس فوكوياما في كتابه (الهوية ٢٠١٨) التمييز بين التجربة والتجربة المعاشة،على ان الأولى تشير الى تجارب يمكن الاشتراك فيها مع الآخرين، أما الثانية فتعني على النقيض من ذلك الادراك الذاتي للتجارب، و قد لا يكون بالضرورة قابلاً للاشتراك مع الآخرين.

• **تحولات في النظرية:**

أُخذ على بوفوار و منظرات الموجة الثانية حديثهن عن النساء باعتبارهن فئة موحدة متجانسة واهمال الفوارق التمييزية بينهن، جاءت النسوية الراديكالية وركزت على الحريات الجسدية بشكل أساسي، نجد الحديث عن الحقوق الإنجابية عند شولاميث فايرستون (١٩٧٢) (و ماري او،بريان (١٩٨١)، تناولتا التطور التاريخي لعلاقات الانجاب و التحولات الاجتماعية المصاحبة له الخاصة بتبعية النساء، أما الموجة الثالثة في التسعينات فتحدثت عن نساء لسن من العرق الأبيض او الطبقة الوسطى ولا بالضرورة مغايرات جنسياً هذا ما تم استيعابه في التقاطعية. حدثت هذه التطورات النظرية في الاكاديميا الغربية التي تبنت مبحث الذاتية و شكلت ما يعرف بالمنعطف الثقافي.

منذ السبعينات تناقصت التحليلات الماركسية القائلة بأن اضطهاد النساء يمكن ان يشكل جزءاً ضمنياً في العلاقات الاجتماعية الرأسمالية وانحرفت حركات نسوية بعيداً عن ما يتعلق بالفقر و أسواق العمل و العمل المنزلي و إعادة الإنتاج الاجتماعي أوعن التحليل المادي في العموم، نحو الاهتمام باللغة و الخطاب والتمثيل، وصف هذا التحول بال «المنعطف الثقافي» (التعبير مستعار من فوكو ١٩٧٢)، حيث انزلقت مواضيع التحليل النسوي من الأشياء الى الكلمات

وابتعدت عن المقاربات الاجتماعية الاقتصادية لتقترب من الدراسات الأدبية و الثقافية. وفي الثمانينات أثناء ضعف القطب الاشتراكي ثم انهياره تماماً في ١٩٩١تم استبدال ماركس الذي كان يستشهد به دائماً بجاك لاكان وفوكو و ديريدا.

يورد اعجاز احمد في كتابه (في النظرية): «رفض الماركسية على نحو انفعالي، من دون أي انكباب مفصّل على فكر ماركس، بات الآن سمة شائعة تميّز ما بعد البنيوية الفرنسية و أفكار الجناح اليميني الصريح الذي نشأ في اعقابها «كما يقول في إشارة الى غياب التحليلات التحتية» السمة المميزة للراديكالية الأدبية المعاصرة هي أنها نادراً ما تتناول مسألة تحددها هي ذاتها بشروط إنتاجها و موقع فاعليها الطبقي. و في الحالات النادرة التي تناول فيها أحد ما و لو بصورة خاطفة مسألة موقعه – و تالياً مسألة التحديد الاجتماعي لممارسته – كان الموقف من النوع ما بعد البنيوي الى حد بعيد، حيث الذات هي مرجع ذاتها و مصدر لذّتها على نحو فيه ما فيه من المفارقة المضحكة». اذاً، تطورت الاشكال الجديدة للنظرية النسوية شيئاً فشيئاً باتجاه ما بعد البنيوية و ما بعد الحداثية، كرد فعل جزئي على عدم قدرة الماركسية على معالجة قضايا مهمة للتحليل النسوي كالجنسانية او مسألة الجندر، أشار المقال الافتتاحي للمجلة البريطانية m/f feminist magazine عام ١٩٧٨ الى تزايد الاستياء من الاشكال الماركسية التقليدية،انتقدت محررات المجلة الشروحات المادية للتبعية النسوية، و تم الاستعانة بالتحليل النفسي في فهم الذاتية المجنسة.

من ابرز نسويات هذا الاتجاه هي جوديث بتلر، تكمن مساهمتها الأهم للنظرية النسوية في كتابها (مشكلة الجندر ١٩٩٠)، اوضحت ثنائية جنس / جندر في نظريتها الأدائية الجندرية، تلجأ بتلر الى تحليل اللغة بوصفها نظاماً ترميزياً من الدلالات من خلالها يتم إنتاج التابعين، تجمع بين فوكو و تحليله للتبعية مع نظرية التحليل النفسي و تعتمد المفاهيم الاكانية، تقدم نظريتها انطلاقاً من مقولة سيمون دو بوفوار، بتلر: «حين تقول سيمون دو بوفوار(لا يولد المرء امرأة، بل يصير كذلك) فإنها تستولي من التراث الظاهراتي على مذهب الأفعال المكوِّنة هذا و تعيد تأويله، فبهذا المعنى لا يكون الجندر البتة هوية ثابتة أو محلاً لفاعلية تنبثق منها شتى الأفعال، بل يكون هوية ضعيفة التكوين تكونت في الزمن، هوية قامت من خلال تكرار أفعال مؤسلب، و علاوة على ذلك، فإن الجندر يقام من خلال أسلبة الجسد، و يجب أن يفهم تاليًا، بوصفه الطريقة البسيطة التي تكوّن بها شتى الايماءات و الحركات والأداءات الجسدية وَهْمَ ذاتٍ مُجندرَة مقيمة، و هذه الصيغة تنقل مفهوم الجندر من كونه نموذج راسخ من نماذج الهوية الى كونه نموذجاً يحتاج إلى تصور لزمنية اجتماعية مكوِّنة» اذاً الجندر هو سلسلة مكررة من الأفعال الادائية، و قدمت الفيلسوفتان اليزابيث غروز و موريا غاتنز متأثرات بأعمال جيل دولوز نقداً لإشكالية التمييز بين الجنس / الجندر.

و بين ما بعد حداثيين يرون الفئات النوعية هي نتاجات لغة و خطاب، و ماديين يرون انها منغمسة في حقائق مادية للهيمنة الذكورية، نجد دفاعاً عن المقاربتين و دعوة لدمجهما لتطوير النظرية لدى سيلفيا والبي ١٩٩٢ حيث تقول: «في مواجهة تعقيدات العالم الاجتماعي، ليس من الضروري التخلي عن مفهوم السببية. ليس علينا تبديل تحليل البنى بتحليل الخطاب لإدراك ذلك التعقيد، ولا استخدام الرأسمالية محددة وحيدة لبناء نظرية اجتماعية كبرى».

تشير والبي الى أن النظام الابوي متموضع في ست بنى مستقلة نسبياً: الإنتاج المنزلي، والعمل المأجور، و الثقافة، والجنسانية، والعنف الذكوري، والدولة، تحولت هذه البنى عبر التاريخ و تغيرت الأهمية النسبية لكل منها من عصر لآخر، على سبيل المثال نجد النظام الابوي في القرن التاسع عشر مترسخاً في الدائرة الخاصة بالإنتاج المنزلي، بينما نجد دوائر العمل العامة و الدولة هي البنى المهيمنة الان، أي انتقلت الابوية من المجال الخاص الى المجال العام.

تترجمت رؤية مماثلة لوالبي مؤخراً في مانيفستو يدعو لحركة نسوية جديدة هو (نسوية من أجل ال ٩٩٪) عام ٢٠١٨، عمل مشترك بين نانسي فريزر و تشينزا أروتزا و تثي باتاتشاريا في عملية احياء للنسوية الاشتراكية ودمجها في النسوية التقاطعية و دراسات ال «Queer » بشكل يصوراشكال الاضطهاد المركبة الواقعة على المرأة في ظل النظام النيوليبرالي العالمي، تضم الحركة صوتها للمجموعات المناهضة للعنصرية والمناضلة من اجل قضايا البيئة و المهاجرين، و يتبنى هذه الاشكال من الهوية اليسار المعاصر.

• خاتمة:

مطلب الاعتراف بجماعات تهمشت بطرائق مختلفة يحكي جزءاً من الواقع السياسي اليوم، الهوية عقبة لابد منها في مجتمعاتنا الحديثة ولكنها بشكليها الجمعي والفرداني قد تخلق استقطابات تهدد وحدة المجتمعات وتقسمها الى جماعات أنوية ترى في نفسها الاختلاف وتتغذى على خطاب المظلومية وقد لا تنتج بالضرورة تحسيناً لاوضاعها، كذلك على الحراك النسوي الحالي في مجتمعاتنا العربية ان يطور من أساسه النظري والتحليلي لقضايا المرأة في استلهام ارث الادبيات النسوية وإعادة انتاجها وان يخرج من دائرة النشاط الحقوقي -الموسوم بأنه عالمي- ويعي اكثر بقضاياه الملحة بهدف انتاج معرفة تساهم في زيادة كفاءة حضورالمرأة المنتج في مجتمعها و التكامل معه.

•مراجع:

• فرانسيس فوكوياما (الهوية).

• جوديث بتلر (الأفعال الادائية و تكوين الجندر: مقالة في الظاهراتية و النظرية النسوية).

• (معجم ماركس المعاصر – دراسات في الفكر الماركسي).

• إعجاز أحمد (في النظرية، طبقات أمم، اداب).

• (نسوية من أجل ال٩٩٪)،